مجلة العميد
Journal Homepage: https://alameed.alameedcenter.iq/
ISSN: 2227-0345 (Print) ISSN 2311-9152 (Online)

اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام: دراسة تحليلية في أبعاده الاجتماعية والتربوية

إبتسام صبري يونس[1]

[1] جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم الاجتماع، العراق؛ Ibtisam.Sabriyounes@uowasit.edu.iq
دكتوراه تنمية اجتماعية / مدرس

تاريخ الاستلام:
١/ ٤/ ٢٠٢٦
تاريخ القبول:
٨/ ٥/ ٢٠٢٦
تاريخ النشر:
٣٠/ ٦/ ٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:
اللاعنف، فكر الإمام زين العابدين عليه السلام، الأبعاد التربويَّة والاجتماعيَّة.

السنة (١٥)- المجلد (١٥)
العدد (٥٨)
محرم ١٤٤٨هـ
حزيران ٢٠٢٦ م.

DOI:
10.55568/amd.v15i58.27-47

ملخص البحث:

يدرس هذا البحث في مبدأ اللَّاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام بوصفه خيارًا استراتيجيًّا أخلاقيًّا وتربويًّا في مرحلة حرجة من التاريخ الإسلامي، عقب فاجعة كربلاء وما أعقبها من عنف واضطهاد سياسي واجتماعي، لقد واجه الإمام تلك المرحلة بأدواتٍ مغايرة تقوم على إصلاح الإنسان من الداخل، لا بمواجهة السلطة بالسلاح؛ بل بمقارعتها عِبر مشروع قيمي روحي يقوم على الدعاء والتربية وتهذيب النفس. انطلقت الدراسة من فرضيَّةٍ مؤدَّاها أنَّ اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن موقفًا سلبيًّا أو انعزالًا؛ بل كان سلوكًا نابعًا من رؤيةٍ إصلاحيَّة متكاملة تهدف إلى بناء الوعي الديني والاجتماعي، وتجديد العلاقة بين الإنسان وربِّه، وبين الإنسان ومجتمعه، درس البحث بالتحليل "الصحيفة السجَّادية" و"رسالة الحقوق" بوصفهما تجليَّات عميقة لهذا الفكر اللاعنفي؛ إذ شكَّلا معًا مدرسة تربويَّة وروحيَّة تسعى لإعادة تأهيل الفرد على وفق مبادئ الرحمة، والحلم، وضبط النفس، والإيمان بإمكانيَّة إصلاح الآخر، وتخلص الدراسة إلى أنَّ فكر الإمام زين العابدين عليه السلام يمثِّل أنموذجًا فريدًا لمقاومة الطغيان، لا بالعنف؛ بل بالتربية الهادئة والصبر العميق، وأنَّ مشروعه اللاعنفي ما يزال صالحًا اليوم بوصفه أنموذجًا في مواجهة العنف والاستبداد، وإحياء القيم الإسلاميَّة في بعدها التربوي والإنساني.

CC BY NC

Non-Violence in Thought of Imam Zein Al-Abidin(Peace Be Upon Him): Analytical Study on Its Educational and Social Dimensions

Ibtisam Sabry Younis [1]

[1] University of Wasit / College of Arts / Department of Sociology, Iraq;
Ibtisam.Sabriyounes@uowasit.edu.iq
PhD in Social Development / Lecturer

Received:
1/4/2026
Accepted:
8/5/2026
Published:
30/6/2026

Keywords:
Non-violence, Thought of Imam Zayn al-Abidin (Peace Be Upon Him), Educational and Social Dimensions.

Al-Ameed Journal
Year(**15**)-Volume(**15**) Issue (**58**)
Muharram 1448 AH
June 2026 AD.

DOI:
10.55568/amd.v15i58.27-47

Abstract:

This research examines the principle of non-violence in the thought of Imam Zein Al-Abidin(Peace Be Upon Him) as a strategic, moral, and educational choice during a critical phase of Islamic history, following the tragedy of Karbala and the subsequent political and social violence and oppression. The Imam confronts that phase with alternative tools based on reforming man from within, not by confronting the authority with weapons, but by countering it through a value-based and spiritual project founded upon supplication, education, and self-purification.

The study proceeds from a premise stating that non-violence in the thought of Imam Zein Al-Abidin is not a negative stance or isolationism; rather, it is a behavior originating from an integrated reformist vision aiming to build religious and social awareness and to renew the relationship between man and his Lord, and between man and his society. The research analyzes the Al-Sahifa al-Sajjadiyya and the Risalat al-Huquq [Epistle of Rights] as profound manifestations of this non-violent thought, for they together form an educational and spiritual school that seeks to rehabilitate the individual according to the principles of mercy, forbearance, self-control, and faith in the possibility of reforming the other.

The study concludes that the thought of Imam Zayn al-Abidin (Peace Be Upon Him) represents a unique paradigm for resisting tyranny—not through violence, but through quiet education and deep patience—and that his non-violent project remains valid today as a model in confronting violence and despotism, and reviving Islamic values in their educational and human dimensions.

المقدِّمة:

شهدت الأمَّة الإسلاميَّة عبر تاريخها الطويل محطَّات مفصليَّة أفرزت تحولات عميقة في بنيتها السياسيَّة والاجتماعيَّة والروحيَّة، كان من أبرزها مرحلة ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عام ٦١ هـ، التي مثَّلت نقطة انعطاف خطيرة في مسار الأمَّة؛ إذ ترسَّخت السلطة الأمويَّة بقوَّة السيف، وساد منطق القهر والهيمنة، وتمَّ تهميش المبادئ الأخلاقيَّة التي جاء بها الإسلام، وفي هذا السياق التاريخي المضطرب، برز الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام بوصفه شخصيَّة استثنائيَّة واجهت التحدِّيات بقوَّة روحيَّة وفكريَّة عالية، لا باستخدام السلاح والتمرُّد العسكري، وإنَّما عبر مشروع قيميٍّ لا عنفي شكَّل بُعدًا جديدًا في مقاومة الظلم والانحراف، لقد تبنَّى الإمام زين العابدين عليه السلام نمطًا فريدًا من المواجهة تمثَّل فيما يمكن تسميته بـ"اللاعنف الرسالي"، وهو شكل من أشكال المقاومة الفكريَّة والتربويَّة التي تستند إلى الوعي والبصيرة والإصلاح الذاتي والاجتماعي، وقد اتَّخذ هذا النمط تجلياته في خطَّين متوازيين: الأوَّل يتمثَّل في العمل الروحي والعبادي، عِبر الصحيفة السجَّادية، التي تُعدُّ كنزًا روحيًّا تربويًّا غنيًّا بالقيم الإنسانيَّة العليا، والآخر يتجلَّى في التأسيس لمنظومةٍ حقوقيَّةٍ متقدِّمة عبَّر عنها الإمام في "رسالة الحقوق"، التي أرست قواعد متكاملة لعلاقة الإنسان بنفسه وخالقه ومجتمعه ودولته، إنَّ اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن موقفًا انفعاليًّا عابرًا فرضته الظروف؛ بل كان رؤية استراتيجيَّة شاملة لإعادة بناء المجتمع على أسس من العدالة والرحمة والكرامة الإنسانيَّة، لقد أدرك الإمام أنَّ البيئة التي ترزح تحت وطأة العنف والتجهيل والتسلط تحتاج إلى إصلاح قاعدي يبدأ من إصلاح الفرد، ويُبنى على مفاهيم العدل الداخلي والسكينة النفسيَّة والانضباط السلوكي، ولذا، نجد أنَّ منهجه اللاعنفي لم يكن انعزالًا عن الواقع أو تواطؤًا مع السلطة؛ بل مقاومة واعية تهدف إلى إعادة تشكيل الوعي الجمعي، وتحصين الأمَّة من الداخل لمواجهة الاستبداد والانحراف، وعلى هذا الأساس، تنطلق هذه الدراسة لتحليل الأبعاد التربويَّة والاجتماعيَّة لمفهوم اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام، عبر استقراء نصوصه ومواقفه ومجمل مشروعه

الإصلاحي، محاوِلةً إبراز القيمة المعرفيَّة لهذا المنهج في ظلِّ ما تعانيه مجتمعاتنا المعاصرة من تصاعد في وتيرة العنف، وانهيار القيم، وتفكك الروابط الاجتماعيَّة، وتراجع الحس الإنساني والأخلاقي، وتسعى الدراسة للإجابة عن جملةٍ من الأسئلة المركزيَّة، أبرزها: كيف جسَّد الإمام زين العابدين عليه السلام مفهوم اللاعنف في حياته وفكره؟ وما هي الآليَّات التي اعتمدها في نشر هذا النهج في مجتمع يسوده القهر والانحراف؟ وهل يمكن اعتبار هذا النموذج إطارًا تطبيقيًّا وملهمًا لواقعنا الإسلامي المعاصر في ظلِّ الأزمات السياسيَّة والاجتماعيَّة والروحيَّة؟ إنَّ هذه الدراسة لا تهدف فقط إلى استعراض التُّراث السجَّادي بوصفه مادةً دينيَّةً أو أدبيَّةً، وإنَّما تسعى إلى استكشاف البُعد الوظيفي لذلك التُّراث في بناء الإنسان والمجتمع، واستنطاق دلالاته المعرفيَّة والأخلاقيَّة والتربويَّة في ضوء المنهج اللاعنفي الذي اعتمده الإمام، والذي لا يزال – برؤيته المتجدِّدة – صالحًا لإعادة تشكيل الثقافة المجتمعيَّة اليوم على أسس من السلم، والرحمة، والتعاون، وبناء الوعي الجمعي، بوصفه المدخل الحقيقي لأيِّ نهضةٍ حضاريَّة أصيلة ومستدامة، فقد جاء البحث من ثلاث مباحث: درس المبحث الأوَّل: الخلفيَّة التاريخيَّة والاجتماعيَّة لعصر الإمام زين العابدين عليه السلام، أمَّا المبحث الثاني فقد بحث: ملامح اللاعنف في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، وجاء المبحث الثالث بعنوان الأبعاد التربويَّة للاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام.

المبحث الأوَّل: الخلفيَّة التاريخيَّة والاجتماعيَّة لعصر الإمام زين العابدين عليه السلام

مثلت الحقبة التي عاش فيها الإمام زين العابدين عليه السلام واحدة من أكثر المراحل حساسيَّة وتعقيدًا في التاريخ الإسلامي، سواء من الناحية السياسيَّة أم الاجتماعيَّة أم الدينيَّة؛ إذ عاصر الإمام نتائج التحول العنيف الذي شهده العالم الإسلامي بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عام ٦١هـ، ذلك الحدث المفصلي الذي لم يكن مجرَّد معركة عسكريَّة؛ بل مثَّل انهيارًا رمزيًّا لمنظومة القيم الإسلاميَّة التي تأسَّس عليها المجتمع بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ووسط هذه التحوُّلات العاصفة[1] برز الإمام زين العابدين بوصفه حاملًا لمشروع إصلاحي قائم على الوعي الروحي والاجتماعي، كان السياق السياسي في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام محكومًا

١ شحرور، محمد . الكتاب والقرآن قراءة معاصرة (دمشق: دار الأهالي، ١٩٩٠)، ٣٠.

بسلطة الدولة الأمويَّة، تلك الدولة التي مثَّلت تحولًا جذريًّا عن مبادئ الشورى والعدالة الإسلاميَّة إلى نهج الوراثة والهيمنة والاستبداد، فبعد اغتيال الإمام الحسين عليه السلام، مارست السلطة الأمويَّة أبشع أساليب القمع والترهيب بحق آل البيت عليهم السلام وشيعتهم، ممَّا خلق مناخًا عامًّا من الخوف والتخلف والرقابة الفكريَّة والاجتماعيَّة، وعزَّز من هيمنة السلطان على الدين، إذ جُعِل من الإسلام أداة بيد الدولة بدل أن يكون سلطة أخلاقيَّة فوق الجميع، لم يكن المجتمع في تلك المرحلة متماسكًا؛ بل عرف تفكُّكًا عميقًا على مستويات متعدِّدة، فبعد صدمة كربلاء، انقسم الناس على طوائف: بعضهم خضع للسلطة ورضخ لواقع الاستبداد، وبعضهم الآخر دخل في حالة من الانكفاء والانطواء خوفًا من البطش، في حين نشأت حركات احتجاجيَّة لاحقة، كحركة التوابين وزيد بن علي، تعبيرًا عن الحسِّ بالذنب والتقصير في نصرة الحسين عليه السلام، في هذا الجو من الانكسار الأخلاقي، فقد الناس ثقتهم في القيم الإسلاميَّة التي حرَّفها الإعلام الأموي وشوَّه ملامحها، فانتشرت مظاهر الظلم، وشاعت التفرقة بين طبقات المجتمع، وضعف الحس بالعدالة، وزادت حدَّة الصراعات العرقيَّة والمناطقيَّة[٢]، أمَّا من الناحية الدينيَّة، فقد اجتهدت السلطة الأمويَّة في تطويع الفقهاء لصالح مشروعها السياسي، فظهر ما يمكن تسميته بـ"فقه السلطة"، وهو خطاب ديني يدعو إلى الطاعة المطلقة لولاة الأمور مهما بلغ ظلمهم، ما دامت البيعة قد أُعطيت لهم، وهو ما شكَّل انقلابًا على المفاهيم القرآنيَّة الأصيلة التي تربط الطاعة بالعدل والتقوى، كما سعت السلطة إلى تهميش خطِّ أهل البيت عليهم السلام، وكان ذلك يتجلَّى في منع رواية أحاديثهم؛ بل وفي محاولات طمس مناقبهم علنًا، ومنع أتباعهم من التدوين أو التعليم أو حتَّى التواصل الاجتماعي الحر، في هذا المناخ، واجه الإمام زين العابدين عليه السلام تحدِّيًا وجوديًّا، إذ لم يكن الصراع مع السلطة صراعًا سياسيًّا فقط؛ بل كان صراعًا على الوعي، على القيم، على الحقيقة، على روح الإسلام نفسه؛ ولأنَّه كان مراقبًا ومهدَّدًا، اختار الإمام نهجًا استثنائيًّا للمقاومة يتمثَّل في ترسيخ مبدأ "اللاعنف" بوصفه خيارًا متكاملًا، يعيد إنتاج الإنسان من الداخل، ويحصِّنه من الانجرار إلى مستنقع العنف الذي كانت السلطة تمارسه؛ بل وتجر إليه معارضيها، ومن

٢ حمزة، عبد الفتاح. فقه السلم واللاعنف في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٩)، ١٣.

هنا، تتبدَّى منهجيَّة الإمام في استخدام الأدوات التي كانت متاحة له، وأبرزها الدعاء، إذ شكَّلت "الصحيفة السجَّاديَّة" مشروعًا تربويًّا-روحيًّا يعيد للمجتمع توازنه، ويحفِّز فيه قيم الرحمة والعدل والصبر والتسامح، لقد خاطب الإمام عِبر أدعيته ضمير الأمَّة من دون أن يوجِّه خطابًا مباشرًا ضد السلطة؛ لكنَّه قدَّم عبرها أنموذجًا مضادًّا للحاكم الجائر، وعزَّز من مكانة العلاقة بين الإنسان وربِّه بعيدًا عن الوسائط السلطويَّة[٣]، كما جاءت "رسالة الحقوق" لتضع أسسًا واضحةً في فهم علاقة الإنسان بنفسه، وأهله، ومجتمعه، وسلطته، ضمن منهج أخلاقي-اجتماعي متكامل، يكشف مدى عمق الرؤية الاجتماعيَّة والسياسيَّة للإمام، ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا المنهج السلمي للاعنف لم يكن انكفاءً عن مقاومة الظلم؛ بل كان مقاومة ذكيَّة تتجاوز الفعل المباشر إلى إعادة صياغة بنية الوعي الجمعي، فالإمام لم يقم بثورة مسلحة؛ ولكنَّه ربَّى جيلًا مؤمنًا بالقيم، صامدًا في وجه القهر، مدركًا لأبعاد الصراع بين الحقِّ والباطل، ومتمسكًا بوسائل المقاومة الهادئة التي تهدف إلى التغيير العميق، هكذا شكَّل الإمام زين العابدين عليه السلام في تلك المرحلة القاسية صمَّام أمان لهويَّة الأمَّة[٤]، ونجح في حماية المشروع الرسالي من التلاشي في بحر الاستبداد، لا من طريق المواجهة الدموية؛ بل عبر التأسيس لمنهج حضاري أخلاقي يقوم على اللاعنف، التربية، والدُّعاء، وهو ما يجعل من تجربته درسًا إنسانيًّا خالدًا في فنِّ الصبر والمقاومة الروحيَّة والاجتماعيَّة، ليس بالإمكان فهم فكر الإمام زين العابدين عليه السلام في اللاعنف بمعزل عن الظروف التاريخيَّة والاجتماعيَّة التي أحاطت به، تلك التي تميَّزت بأحداث مفصليَّة شكَّلت منعطفًا في المسيرة الإسلاميَّة، وفرضت تحدِّيات كبرى على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم[٥]، اذ رأى قتل أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في واحدةٍ من أفظع صور العنف السلطوي، وتمَّ سبي النساء والأطفال، وكان هو الشاهد الحي الناطق بتلك المجازر، أنَّ ما بعد كربلاء لم يكن مجرَّد مرحلة من الحزن والمأساة؛ بل كان من أصعب المراحل التاريخيَّة التي مرَّت بها مدرسة أهل البيت، إذ هيمن الطغيان الأموي بكلِّ أدواته القمعيَّة والإعلاميَّة، وسعى إلى محو آثار الثورة الحسينيَّة وقيمها، في هذا

٣ الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، تحقيق محمد باقر الموحد الأبطحي (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ٢٠٠٥)، ٨٩.
٤ الحكيم، محمد سعيد. البعد التربوي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام (النجف: مركز الدراسات الإسلاميَّة، ٢٠٠٧)، ٥٦.
٥ مطهري، مرتضى. التربية الإسلاميَّة (بيروت: دار التعارف، ٢٠٠٣)، ٤٥.

المناخ المُحمَّل بالقمع والخوف، اختار الإمام زين العابدين عليه السلام نمطًا آخر من المقاومة، تمثَّل في المقاومة الأخلاقيَّة والروحيَّة والتربويَّة، لا من موقع التراجع؛ بل من موقع إعادة بناء الإنسان والأمَّة من الجذور، لقد كانت البنية الاجتماعيَّة في عهد الإمام مهدَّدة بانهيارٍ شاملٍ للقيم؛ إذ انتشر الجهل، وساد الخوف، وضعفت الروابط الدينيَّة والروحيَّة، وأُخضع الناس لآلة الحكم الاستبدادي الذي لم يكن يتحمَّل أي صوت مغاير أو مشروع إصلاحي، لذلك، فقد أدرك الإمام أنَّ المواجهة المباشرة بالسيف لا تؤتي ثمارها في ظلِّ واقعٍ مليءٍ بالجذلان والانكسار، فكانت خطَّته تعتمد على بناء الوعي، وإحياء الضمير الجمعي، وتربية جيلٍ جديدٍ يؤمن بقيم الحقِّ والعدل من دون أن ينجر إلى دوامة العنف التي كانت تسعى السلطة لتوريطه فيها، كان مشروع الإمام عليه السلام في جوهره مشروعًا لإنقاذ الأمَّة من التلاشي القيمي والروحي، مستندًا إلى إرث النبوَّة، ومستلهمًا من مدرسة والده الإمام الحسين عليه السلام؛ لكنَّه استخدم أدوات تتلاءم مع طبيعة المرحلة وتعقيداتها[٦]، فبدأ بتدوين منظومة أخلاقيَّة تربويَّة تمثَّلت في "الصحيفة السجَّادية" التي عُدَّت ديوانًا للروح، ومنهجًا لتزكية النفس، ومصدرًا غنيًّا لبناء الإنسان، إلى جانب "رسالة الحقوق" التي تمثِّل إعلانًا متقدِّمًا للكرامة الإنسانيَّة والعدالة الاجتماعيَّة ضمن إطارٍ إسلاميٍّ، لقد تحرَّك الإمام زين العابدين عليه السلام من منطلق واقعي، يدرك هشاشة الواقع، ويؤمن بضرورة إصلاح البنية الفكريَّة والنفسيَّة قبل أي تغيير سياسي، ولذلك، فإنَّ مشروع اللاعنف لديه لم يكن مجرَّد امتناع عن القتال أو موقف سلبي؛ بل كان استراتيجيَّة متكاملة تقوم على أساس القيم العليا، وتعيد الاعتبار للإنسان بوصفه محورًا للتغيير، وعِبر هذا المنهج، استطاع الإمام أن يؤسِّس لحركةٍ ناعمةٍ؛ ولكن عميقة الأثر في المجتمع الإسلامي، إذ نشأت نواة صلبة من التابعين والعلماء والمتعبدين والمتنورين برسالته، ممَّن شكّلوا لاحقًا طليعة النهضة الفكريَّة التي حملها أئمة أهل البيت من بعده. وبذلك، مثَّل اللاعنف عند الإمام زين العابدين عليه السلام منهجًا مقاومًا في وجه الاستبداد، وجسرًا لاستمرار مشروع الإصلاح الإسلامي الحقيقي، بعيدًا عن الانفعاليَّة، ومبنيًا على صبر طويل ونَفَس أخلاقي ممتد[٧].

٦ شرف الدين، عبد الحسين. كلمة حول الإمام زين العابدين (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٠)، ٧٨.
٧ الإمام زين العابدين عليه السلام، رسالة الحقوق، تحقيق الشيخ محمَّد هادي معرفت (النجف: مؤسَّسة آل البيت، ٢٠٠١)، ١١.

المبحث الثاني: ملامح اللاعنف في سيرة الإمام زين العابدينعليه السلام

إذا كانت الخلفيَّة التاريخيَّة لعصر الإمام زين العابدين عليه السلام قد اتَّسمت بالعنف السياسي والتدهور الأخلاقي والتمزُّق الاجتماعي، فإنَّ سيرة الإمام قد مثَّلت انعطافه نوعيَّة في كيفيَّة إدارة المواجهة مع هذا الواقع المتردِّي، لقد اتَّخذ الإمام عليه السلام من اللاعنف نهجًا استراتيجيًّا لا بوصفه موقفًا انفعاليًّا ناتجًا عن الضعف أو العزلة؛ بل بوصفه خيارًا حضاريًّا مدروسًا، مبنيًّا على قاعدة قرآنيَّة وأخلاقيَّة متكاملة، هدفها حماية الإسلام من التمييع، وحفظ الأمَّة من الانهيار، وصيانة الكرامة الإنسانيَّة من السقوط في فخِّ الانتقام.

لقد اختار الإمام زين العابدين عليه السلام أن يواجه مرحلة ما بعد كربلاء بأدوات تختلف جوهريًّا عن تلك التي اعتمدها الآخرون في بيئة الثأر والانتقام والتصعيد، لم يسعَ إلى حمل السلاح أو التحريض على الثورة المباشرة، على الرغم من أنَّ وجدان الأمَّة كان مشحونًا بالحزن والمرارة، لقد وعى الإمام أنَّ المجتمع الجريح الذي شهد استشهاد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله بأبشع صورة، بحاجة إلى خطاب يضمد الجراح، لا إلى خطاب يؤجِّجها، وأنَّ التحدِّي الأكبر لم يكن في إسقاط الطغيان عسكريًا؛ بل في تحرير النفوس من الخضوع له فكريًّا، ومن هنا، برزت شخصيَّة الإمام زين العابدين عليه السلام لا بوصفه قائدًا سياسيًّا تقليديًّا، بل مهندسًا للوعي، ومربٍّ للنفوس، ومصلحٍ اجتماعيٍّ من الطراز الرفيع، اعتمد في منهجه على سلاح اللاعنف القيمي، عِبر ثلاثة ملامح أساسيَّة: الصفح والتسامح، والدُّعاء والروحانيَّة، وحقوق الإنسان بوصفها ميثاقًا أخلاقيًّا.

ففي مواقفه اليوميَّة مع من عاداه أو أساء إليه، نجد أنَّ الإمام كان مثالًا حيًّا لتجسيد خُلُق العفو، وتُروى في هذا السياق مواقف متعدِّدة تؤكِّد هذا المنهج، منها ما نقله المؤرِّخون عن رجلٍ شتم الإمام في أحد شوارع المدينة، فبدل أن يرد عليه بالمثل، توجه إليه بكلمات هادئة مليئة بالرقي، وقال له: "إن كنتَ صادقًا فيما تقول، فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذبًا، فأسأل الله أن يغفر لك"، فخجل الرجل وانكسر، وقال: "الله أعلم حيث يجعل رسالته"، هذا الأنموذج من السلوك ليس مجرَّد تصرف عاطفي؛ بل هو تأسيس لمنهج مضاد للعنف، مبني على كسر دائرة الكراهيَّة بالعقل والمروءة[٨]، أمَّا في خطابه العبادي، فقد كانت

٨ القرشي، باقر شريف الحسني. حياة الإمام زين العابدين (بيروت: دار التعارف، ١٩٩٢)، ٦٠.

"الصحيفة السجَّادية" بمثابة مدرسة تربويَّة تمثِّل أرقى صور اللاعنف الروحي، فالإمام لم يستخدم الدُّعاء بوصفه وسيلةً فرديَّة للعلاقة بين العبد وربِّه فقط؛ بل جعله وسيلة تربويَّة لإحياء الضمير، وبناء السلوك، وصقل الأخلاق، ففي أدعيته نقرأ تعابير تحثّ على الصبر بدل الانتقام، على التوبة بدل التشهير، وعلى النصح بدل الفتنة، كان الدعاء عند الإمام زين العابدين عليه السلام فعلًا سياسيًّا ناعمًا، وصرخة روحيَّة هادئة، لا تهاجم الظالمين صراحة؛ لكنَّها تسحب منهم شرعيَّة الظلم، وتقدِّم بديلًا قيميًّا لهم، وهكذا، تمكَّن الإمام من بناء خطاب مقاومة لا عنفي يخترق الحجب، ويؤثِّر في النفوس من دون أن يرفع شعارًا سياسيًّا مباشرًا.

أما في رسالته الأشهر "رسالة الحقوق"، فقد عبَّر الإمام عن مشروعه الفكري الأخلاقي بشكل متكامل، فهذه الرسالة ليست مجرَّد توجيهات أخلاقيَّة فرديَّة؛ بل تمثِّل منظومةً متكاملةً للعلاقات الاجتماعيَّة قائمة على احترام الآخر، وتحديد موقع الإنسان في شبكة من الحقوق المتبادلة، لقد قدَّم الإمام تصورًا شاملاً عن العلاقة بين الإنسان وربِّه، والإنسان ونفسه، والإنسان ومجتمعه، بشكلٍ يسبق الفكر الحقوقي الحديث من حيث المنهجيَّة والتوازن، فاللافت أنَّ الإمام لم يتحدَّث عن "واجبات" الإنسان فقط؛ بل عن "حقوق" كل طرف من الأطراف، بمن فيهم الخصم والظالم، وهذا بذاته يشير إلى رؤية إنسانيَّة متقدِّمة تتجاوز مفهوم "العدو" بوصفه كائنًا يجب تدميره، إلى التعامل معه بوصفه إنسانًا ربما أضلَّه جهله أو خوفه، ولم يكن اللاعنف عند الإمام زين العابدين مجرَّد امتناع عن الردِّ بالسلاح فحسب؛ بل كان جهادًا من نوع آخر، أكثر عمقًا، وأكثر أثرًا.

لقد جاهد الإمام عليه السلام نفسه أوَّلًا بالصبر، وجاهد المجتمع بالتوعية، وجاهد السلطة بالكلمة الصادقة الهادئة، التي لا تستفز ولكن تكشف الحقيقة، ومن هنا يمكن أن نفهم سرَّ بقاء ذكر الإمام حيًّا على الرغم من أنَّه لم يخض معركة عسكريَّة، إذ إنَّ مشروعه الإصلاحي كان أعمق من الثورة، وأبقى من الانتفاضة؛ لأنَّه استهدف الإنسان من الداخل، وأعاد بناء وعيه بعيدًا عن العنف والكراهية والانفعال، لقد مثَّلت سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام أنموذجًا فريدًا في التاريخ الإسلامي، أنموذجًا يعيد تعريف القوَّة لا بوصفها سيطرة جسديَّة؛ بل بوصفها سيطرة

أخلاقيَّة وروحيَّة، ويؤسِّس لثقافة اللاعنف لا بوصفها حالة مؤقتة؛ بل بوصفه منهجًا دائمًا لإحياء الأمَّة، وتربية الفرد، ومقاومة الاستبداد بوسائل ترتقي إلى مستوى الرسالة المحمديَّة الحقيقيَّة، إنَّ اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين﵇ لم يكن مجرد موقف انفعالي ظرفي أو رد فعل نفسي إزاء ما جرى في كربلاء وما تلاها من أحداث؛ بل كان منظومة متكاملة من المبادئ التربويَّة والاجتماعيَّة التي هدفت إلى إعادة بناء الإنسان في ظلِّ ظروفٍ قاسيةٍ من القهر السياسي والاضطراب الاجتماعي[٩]، ففي الوقت الذي كان العنف يُستخدم كأداة لبسط الهيمنة والبطش بالمعارضين، سلك الإمام طريقًا آخر تمامًا، قائمًا على مبدأ "إصلاح النفس وإصلاح المجتمع"، عِبر بثِّ القيم الأخلاقيَّة، وتزكية النفوس، وترسيخ قيم الرحمة والعدالة والحلم والورع.

وهي قيم اعتبرها الإمام الركائز الأساس لمجتمع سليم، لقد تجلَّت هذه الرؤية الإصلاحيَّة في مضامين الأدعية التي ضمَّتها الصحيفة السجَّادية، والتي لم تكن مجرَّد تضرُّعات روحيَّة فحسب؛ بل كانت خطابات تربويَّة عميقة تعالج أمراض النفس الإنسانيَّة وتحفِّز على السموِّ الأخلاقي، وهي توجّه الأفراد نحو إعادة صياغة العلاقة مع الذات، ثمَّ مع المجتمع من موقع الفاعليَّة لا السلبيَّة، وهنا يظهر البعد التربوي لفكر اللاعنف، الذي يعالج الانفعالات السلبيَّة، كالانتقام والكراهية والغضب، ويستبدلها بالصبر والصفح وضبط النفس، أمَّا على الصعيد الاجتماعي، فقد أسهم فكر الإمام في تهدئة الاحتقان الشعبي، ووقاية المجتمع من الانزلاق في الفوضى والعنف المضاد الذي لا يُنتج إلا المزيد من الدماء، وبهذا فإنَّ اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين﵇ لا يُفهم بوصفه تخلِّيًا عن المقاومة؛ بل هو مقاومة من نوع آخر؛ مقاومة تشتغل على الإنسان أوَّلًا، في صبره، وانضباطه، واستيعابه للابتلاء، واستعداده لتحمُّل الأذى من أجل قضيَّة أسمى.

لقد أراد الإمام أن يُعيد للناس ثقتهم بأنفسهم أوَّلًا، وبقدرتهم على تغيير الواقع انطلاقًا من النفس: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، ولعلَّ من أبرز تجلِّيات هذا الفكر، هو التركيز على التربية داخل الأسرة والمجتمع، إذ كان الإمام يرى أنَّ التنشئة

٩ مطهري، مرتضى .العدل الألهي (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤)، ٢٣.

الخلقيَّة تبدأ من البيت، وأنَّ الإصلاح السياسي لا يتحقَّق إلَّا بإصلاح داخليٍّ عميق، وكذلك فإنَّ دعوته لاحترام الحقوق – كما في "رسالة الحقوق" – تؤسِّس لثقافة مدنية تحترم كرامة الإنسان، وتوازن بين الحقوق والواجبات، وتربِّي الإنسان على الشعور بالمسؤوليَّة تجاه نفسه وتجاه الآخرين[١٠]، وفي ظلِّ هذا التصور، لم يكن اللاعنف لدى الإمام مجرَّد خيار فردي؛ بل مشروعًا اجتماعيًّا شاملًا، يقوم على إصلاح العلاقات، وتخفيف التوترات، ونشر الوعي، ومواجهة الظلم بالثبات الأخلاقي لا بالاندفاع الغاضب، وهو بذلك قدَّم أنموذجًا رائدًا في الفكر الإسلامي يُحتذى به في المجتمعات المعاصرة التي تعاني من تصاعد العنف، وتآكل القيم، وتراجع المعايير الأخلاقيَّة، إنَّ هذا المشروع الإصلاحي القائم على اللاعنف يعلِّم الأجيال أنَّ التغيير الحقيقي يبدأ من الذات، وأنَّ مقاومة الظلم لا تقتصر على حمل السلاح، بل قد تبدأ بكلمة، أو بدعاء، أو بموقف صامت يتحدَّى الطغيان من الداخل، وهكذا يصبح فكر الإمام زين العابدين عليه السلام أنموذجًا تربويًّا واجتماعيًّا خالدًا، يُنير الدروب أمام المجتمعات في رحلتها نحو العدالة والكرامة والحرية[١١].

المبحث الثالث: الأبعاد التربويَّة للاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام

لم يكن مشروع الإمام زين العابدين عليه السلام مشروعًا فرديًّا خاصًّا فحسب؛ بل كان رؤيةً شاملةً لإعادة بناء الإنسان المسلم في زمن انكسرت فيه المعايير الأخلاقيَّة، وشاع فيه التسلُّط، وتشوَّهت صورة الإسلام بفعل السياسات الأمويَّة القمعيَّة، وفي قلب هذا المشروع، تبرز التربية بوصفها الأداة المركزيَّة في صياغة الوعي، وتحقيق التغيير، وإرساء مبدأ اللاعنف بوصفه سلوكًا أصيلًا نابعًا من عمق الإيمان، لا مجرَّد تكتيك مؤقت، لقد كان الإمام يدرك أن لا معنى للثورة على الأنظمة السياسيَّة ما لم تسبقها أو ترافقها ثورة على مستوى الذَّات والضمير، وأنَّ التربية هي الحصن الأوَّل والأخير الذي يحفظ هويَّة الأمَّة ويمنع سقوطها في دوامة العنف المتبادل، وأنَّ التربية في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام لا تقتصر على العلاقة بين المربِّي والمتعلم فحسب؛ بل تتجلَّى بوصفها عمليَّة إنسانيَّة متكاملة تهدف إلى تهذيب النفس، وتنمية الروح، وضبط الغرائز،

١٠ الجوادي، علي. التسامح في الاسلام (دمشق: دار النور، ٢٠٠٨)، ٧٥.
١١ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦)، ٥٣.

وتحرير الإرادة من الخضوع للشر والهوى والانتقام، ولهذا، فإنَّ اللاعنف لم يكن في نظر الإمام موقفًا سلبيًّا أو حياديًّا؛ بل كان أسلوبًا تربويًّا يزرع في الإنسان الرفق، ويحميه من السقوط في وحل التوحّش وردود الفعل الغريزيَّة، ويحوِّله إلى كائن مسؤول، يمتلك القدرة على ضبط نفسه، وتحمُّل الأذى، والعمل من أجل إصلاح الآخرين لا تدميرهم، وتبرز "رسالة الحقوق" للإمام زين العابدين﵇ كأهمِّ تجلِّيات هذا الفكر التربوي القائم على اللاعنف، فهي ليست مجموعة من الأحكام أو الأوامر الأخلاقيَّة المجرَّدة؛ بل وثيقة تربويَّة متكاملة ترسم ملامح الإنسان المسلم في علاقته بجميع مستويات الوجود: علاقته بربِّه، بنفسه، بأسرته، بمجتمعه، وحتَّى بأعدائه[١٢]، واللافت أنَّ الإمام لم يصنِّف الناس على وفق قربهم أو بعدهم عنه؛ بل منح كلِّ شخصٍ حقوقه بميزان العدالة والرحمة. فنجده يتحدَّث عن حقِّ "السلطان الجائر" وحقِّ "الخصم"، وحقِّ "المسيء" و"الجاهل"؛ بل ويؤكِّد أنَّ التعامل مع هؤلاء يجب أن يكون بلين القول وحسن النصح، لا بالعنف أو الرد بالمثل.

لقد أراد الإمام عِبر هذه الرسالة أن يعلِّم الأفراد كيف يمارسون المسؤوليَّة الأخلاقيَّة حتَّى في أحلك الظروف، فالتربية اللاعنفيَّة التي دعا إليها لا تعني التنازل عن الحق، ولا تبرير الظلم، وإنَّما تعني مواجهة الشرِّ بالحكمة، والانحراف بالإصلاح، والقسوة بالرحمة، من دون أن يفقد الإنسان كرامته أو يتخلَّى عن مبادئه، وهذا العمق التربوي هو ما يجعل من اللاعنف عند الإمام﵇ منهجًا للتحول الذاتي والاجتماعي، لا مجرَّد شعار، أمَّا في "الصحيفة السجَّادية"، فقد اتخذت التربية بعدًا روحيًّا عميقًا؛ إذ لم يكتف الإمام بإلقاء المواعظ أو إصدار التوجيهات؛ بل استخدم الدعاء كأداة تربية للنفس وللآخرين، فأدعيته كانت مملوءة بنداءات الصبر، والتواضع، والعفو، والحلم، والتضرع لله في سبيل إصلاح النفس والمجتمع، والدعاء عند الإمام ليس كلامًا خاشعًا فحسب؛ بل مدرسة لتعليم الانضباط الذاتي، والتهذيب النفسي، والتعامل الرحيم مع الناس[١٣].

وفي هذا السياق، تظهر التربية اللاعنفيَّة كجهاد داخلي يمارسه الإنسان يوميًّا ليطهّر قلبه ولسانه وجوارحه من أي ميل إلى العدوان أو التسلط أو الانتقام، وقد حرص الإمام في هذا

١٢ الأزدي، لوط بن يحيى. مقتل الحسين﵇، تحقيق: الحاج ميرزا العقاري (قم المقدسة: المطبعة العلمية، ١٣٩٨هـ).
١٣ القريشي، باقر شريف. حياة الامام زين العابدين﵇، دراسة وتحليل النجف الأشرف (مطبعة الآداب، ١٩٨٨)، ٢٥.

المنهج التربوي على تربية "النية" قبل "السلوك"، و"القلب" قبل "اليد"، مؤمنًا بأنَّ اللاعنف لا يمكن أن يكون سلوكًا صادقًا إذا لم ينبع من إيمان راسخ بأنَّ كلَّ إنسان، مهما بلغ انحرافه، قابل للإصلاح والتوبة. ولهذا، فإنَّ المحور التربوي في مشروع الإمام لم يكن محصورًا في تعليم الصغار أو وعظ العوام؛ بل في إحياء فكرة "تزكية النفس" بوصفه شرطًا لإصلاح هذا يتجلَّى تأثره العميق بالنهج النبوي القرآني، إذ يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠)، ومن جانبٍ آخر، أظهر الإمام حسًّا تربويًّا عاليًا في تعليمه لأبنائه وشيعته، إذ نجد في خطبه ورسائله ونصائحه تأكيدًا على التحلِّي بالحلم والتأنِّي، والبعد عن الفحش، وعدم مقابلة السيئة بالسيئة؛ بل بالسيرة الحسنة واللسان العذب، وقد كان الإمام عليه السلام يؤمن بأنَّ إصلاح المجتمع يبدأ من إصلاح البيت، فكان قدوة في سلوكه التربوي مع أهل بيته، يعلِّمهم بالحكمة، ويعاملهم باللطف، ويحثهم على كظم الغيظ، وغضّ الطرف، وتجنُّب الغيبة والنميمة، وكل مظاهر العنف الكلامي والفعلي.

إنَّ قراءة فكر الإمام زين العابدين التربوي تضعنا أمام صورة إنسانيَّة راقية للإسلام، لا ترى في اللاعنف ضعفًا؛ بل تراه القوَّة الحقيقية القادرة على تغيير الإنسان من الداخل، من دون جرح أو كسر أو إهانة، وهذه الفلسفة التربويَّة العميقة هي ما جعلت من الإمام معلمًا خالدًا في مدرسة الأخلاق الإسلاميَّة، ومصدر إلهام للأجيال الباحثة عن التغيير الحقيقي، الذي لا يبدأ من الخارج؛ بل من الداخل، يعدُّ الإمام زين العابدين عليه السلام رائدًا من روَّاد الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي في مرحلة شديدة الاضطراب من التاريخ الإسلامي، اتَّسمت بسيطرة الاستبداد الأموي وانهيار المنظومة القيميَّة التي بُني عليها الإسلام الأوَّل[١٤]، فبعد فاجعة كربلاء، أصبحت الأمَّة الإسلاميَّة بأمسِّ الحاجة إلى خطابٍ إنساني جامع يُرمّم التصدعات العميقة التي أصابت كيانها الديني والسياسي والاجتماعي، ويعيد وصل الإنسان بالله وبنفسه وبالآخر، وكان المنهج الذي اعتمده الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا السياق منهجًا لا عنفيًّا قائمًا على ثلاثيَّة تربويَّة عميقة: بناء الإنسان، وإحياء الضمير، وترسيخ العدالة، ويمكن إبراز هذه الملامح عبر الآتي:

١٤ الحراني، ابو محمد الحسن .تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق علي أكبر عقاري (مطبوعات رابطة أهل البيت الإسلاميَّة العالمية، د.ت.)، ٤٥٦.

أوَّلًا: البناء الداخلي للإنسان بوصفه مدخلًا للسلام الاجتماعي

آمن الإمام زين العابدين﵇ أنَّ أيَّ تغيير اجتماعي حقيقي لا يمكن أن يتحقَّق ما لم يبدأ من أعماق النفس البشريَّة، إذ إنَّ الجذور الأساسيَّة للعنف والانحراف تكمن في فساد البنية النفسيَّة للإنسان، وفي غياب التربية الأخلاقيَّة العميقة، ومن هذا المنطلق، انشغل الإمام بإعادة صياغة الوعي الفردي، وتهذيب النفس، وتزكية الروح، وترويض الشهوات، وفتح آفاق العقل على معاني الرحمة والعفو والحلم والتسامح، وهي كلها مفاهيم مضادَّة للعنف بكلِّ أشكاله، وقد تجلَّى هذا الاتجاه بوضوح في "الصحيفة السجَّاديَّة"، التي اشتملت على منظومة من الأدعية التي لا تقتصر على البُعد الروحي فحسب؛ بل تُقدِّم مشروعًا تربويًّا متكاملًا يتدرَّج بالإنسان نحو وعي مسؤول، وتفاعل إيجابي مع الوجود، وعلاقة منسجمة مع الذات والآخر، فالدعاء، عند الإمام، لم يكن طقسًا شعائريًّا فحسب؛ بل كان تربية وجدانيَّة وتطهيرًا داخليًّا، وهو ما يمكن أن يُسمَّى بـ"التربية اللاعنفيَّة عبر المناجاة"[١٥].

ثانيًا: رسالة الحقوق كبنية قانونيَّة للاعتراف بالآخر ونفي العنف

مثَّلت "رسالة الحقوق" للإمام زين العابدين﵇ وثيقة فكريَّة وأخلاقيَّة فريدة في التُّراث الإسلامي؛ إذ إنَّها وضعت أسسًا واضحة لعلاقات الإنسان مع محيطه، قائمة على الاحترام والعدل والاعتراف بالكرامة الإنسانيَّة، فالرسالة لم تكن مجرَّد توصيات دينيَّة أو إرشادات أخلاقيَّة؛ بل كانت بمثابة دستور أخلاقي ـ قانوني متكامل يُنظِّم العلاقة بين الفرد والمجتمع، الحاكم والمحكوم، المرأة والرجل؛ بل حتَّى علاقة الإنسان بجوارحه وجسده وعقله، وفي هذا الإطار، يُمكن قراءة هذه الرسالة بوصفها إعلانًا مبكرًا لحقوق الإنسان، في وجه منطق الاستبداد والتمييز والعنف الذي كان سائداً آنذاك، فقد رفض الإمام عبر هذه الوثيقة ثقافة الاستعباد والإذلال، وأرسى دعائم ثقافة الحقوق المتبادلة، ممَّا يجعل هذه الرسالة في جوهرها وثيقة لا عنفيَّة بامتياز، تدعو إلى التعايش، وتُرسِّخ مفهوم "الحق لا القوة"، و"العدل لا الغلبة"[١٦].

١٥ الطبري، محمَّد بن حرير. نوادر المعجزات (قم: مؤسَّسة الإمام المهدي)﵇، ١٤١٣هـ.
١٦ الساعدي، حسام .شرح رسالة الحقوق (بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٥)، ١٣.

ثالثًا: تأسيس خطاب إصلاحي غير تصادمي

اتَّسم خطاب الإمام زين العابدين عليه السلام بالحكمة والهدوء والانفتاح، فلم يكن خطابه صداميًّا أو تحريضيًّا؛ بل كان إصلاحيًّا يعالج العلل من جذورها، فعلى الرغم من معاناته الشخصيَّة من جور السلطة وظلمها، لم يلجأ الإمام إلى الانتقام أو التحريض على الثأر؛ بل رفع من منسوب الوعي الاجتماعي بأساليب تربويَّة تعتمد على البيان والإقناع والأنموذج العملي، وقد تجلَّى هذا الخطاب في موقفه من الذين شاركوا في كربلاء، إذ لم يُقابلهم بالحقد أو الانتقام؛ بل بالدُّعاء والهداية والتوجيه، وهذا السلوك يشكِّل ذروة في تربية النفس اللاعنفيَّة، إذ يتمُّ تجاوز الذات الجريحة من أجل هدفٍ أسمى هو إصلاح المجتمع، إنَّ هذا الخطاب الإصلاحي القائم على اللاعنف لم يكن انسحابًا أو خنوعًا؛ بل كان تعبيرًا عن رؤية استراتيجيَّة تُعلي من قيمة الإنسان، وتُراهن على إصلاح الضمير الجمعي، بدل الانزلاق إلى دوامة العنف والثأر التي لا تنتهي[١٧].

رابعًا: التربية على المسؤوليَّة الاجتماعيَّة

أسَّس الإمام زين العابدين عليه السلام لمنهجٍ تربويٍّ يرتكز على إشعار الفرد بمسؤوليَّته عن نفسه ومجتمعه، فكان يُعلِّم أبناء مجتمعه أنَّ صلاح الأمَّة لا يتمُّ إلَّا عبر التزام كلِّ فردٍ بواجباته الأخلاقيَّة والدينيَّة، وقد عبَّر عن ذلك في دعائه الشهير: "اللَّهُمَّ ارْزُقْني... نُصْحَ أهلِ دِينِكَ"، ممَّا يعكس اهتمامه ببناء مجتمعٍ يقوم على التناصح والتكافل، لا على التسلُّط أو الفردانيَّة، وكذلك شكَّل عمله الإنساني في رعاية الفقراء والضعفاء ومساعدتهم في الخفاء أنموذجًا راقيًا لتربية الفرد على التضامن الاجتماعي بوصفه جزءًا من مقاومة العنف البنيوي الناتج عن الفقر والتهميش، وهكذا، كانت رؤيته للاعنف لا تقتصر على غياب العنف الجسدي فحسب؛ بل تتعدَّاه إلى إزالة أسبابه الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة[١٨].

خامسًا: مقاومة العنف بالروح لا بالسيف

لقد أدرك الإمام زين العابدين عليه السلام أنَّ مناخ الدولة الأمويَّة لا يسمح بانتفاضةٍ مسلَّحةٍ من

١٧ آل قطيط، هشام .سلو زين العابدين عن حقوق العالمين (بيروت: منشورات الفجر، ٢٠١١)، ٦٧.
١٨ شيري، علي. الكامل في التاريخ (بيروت: دار إحياء التُّراث العربي. د.ت.)، ٣٤.

دون أن تؤول إلى مذبحةٍ جديدةٍ تُضيف مزيدًا من الآلام إلى جسد الأمَّة المنهك، ولهذا، اختار الإمام نمط المقاومة الروحيَّة والمعنويَّة، وهو ما نراه في سلوكه اليومي، وخطبه، وأدعيته، وتوجيهاته التي زرعت قيم الصبر، والحلم، والصفح، والعفو، والتسامح، لا بوصفها مواقف سلبيَّة؛ بل كقوةٍ داخليَّة تهزُّ عرش الظالم من غير أن تسقط قطرة دم، وقد حقَّق هذا المنهج نتائج بعيدة المدى، إذ أسهم في إعادة تشكيل الوعي الشعبي، وأعاد ربط الناس بالمبادئ العليا، بعيدًا عن الولاءات القبليَّة أو الانفعاليَّة، وبذلك وضع اللبنات الأولى لما يمكن تسميته بـ"الثقافة المقاومة اللاعنفيَّة"[١٩] .

الخاتمة:

يُعدُّ فكر الإمام زين العابدين عليه السلام أنموذجًا رفيعًا في التاريخ الإسلامي لتجسيد مبدأ اللاعنف بوصفه خيارًا وجوديًّا، واستراتيجيَّة إصلاحيَّة بعيدة المدى، وجهادًا تربويًّا مستمرًّا يتجاوز ردود الأفعال الآنية لينفذ إلى عمق الإنسان والمجتمع، وقد برز هذا الفكر في مرحلة شديدة الحساسيَّة من التاريخ الإسلامي، أعقبت واقعة كربلاء المفجعة، وتجلَّت فيها آثار الانهيار الأخلاقي والسياسي للمجتمع المسلم، ممَّا تطلَّب نمطًا جديدًا من المقاومة يتجاوز السيف إلى إصلاح الإنسان نفسه، وإعادة تشكيل ضميره الجمعي، لقد بيَّن هذا البحث عِبر تتبُّع المفردات الفكريَّة والسلوكيَّة للإمام عليه السلام، أنَّ اللاعنف عنده لم يكن مجرَّد تكتيك مرحلي، أو ترفًا أخلاقيًّا فحسب؛ بل كان مسارًا نابعًا من جوهر العقيدة الإسلاميَّة، ومنسجمًا مع سيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، وقد تمكَّن الإمام من تحويل مفهوم اللاعنف من شعار نظريٍّ إلى منهجٍ عمليٍّ شاملٍ امتدَّ أثره على المستويين الفردي والاجتماعي، وأظهرت الدراسة أيضًا أنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام اختطَّ طريقًا بديلًا للمواجهة مع السلطة الظالمة، طريقًا يقوم على ترسيخ المفاهيم الدينيَّة الأصيلة، وإحياء الضمير الأخلاقي، وبناء الوعي المعرفي لدى الأمَّة، فكان سلاحه الكلمة الصادقة، والدعاء المربِّي، والحقوق الموجَّهة، وهي أدوات لا تقل أثرًا عن السيف في قدرتها على زلزلة الظلم وتفكيك آليات الفساد الروحي والاجتماعي. إنَّ تجربة الإمام

١٩ الموسوي، شفيق محمَّد. في رحاب أهل البيت (بيروت: دار التوحيد، ٢٠٠١)، ٣٢.

زين العابدين عليه السلام في تبنِّي منهج اللاعنف، تفتح أفقًا فكريًّا وتربويًّا واسعًا للباحثين والمربين والمصلحين؛ إذ تُظهر كيف يمكن لقيم الرحمة، والوعي، والتربية، والحقوق، أن تتحول إلى أسلحةٍ حضاريَّة تواجه الاستبداد، وتنقذ المجتمعات من الإنهيار، لقد أثبت الإمام عليه السلام عِبر سيرته ومآثره، أنَّ اللاعنف ليس ضعفًا فحسب؛ بل هو قمَّة القوَّة الأخلاقيَّة، وذروة الإيمان الصادق، وأنَّ بناء الإنسان هو أوَّل شروط بناء الأمَّة.

وقد توصَّل البحث جملة من النتائج المهمَّة:

أوَّلًا: في البعد الاجتماعي: إنَّ اللاعنف في فكر الإمام زين العابدين عليه السلام أسهم في إعادة ترميم البناء الاجتماعي بعد انهياره نتيجة الحروب والمظالم، عِبر التأسيس لعلاقات اجتماعيَّة قائمة على الرحمة، والحقوق، والمسؤوليَّة المشتركة، فكان الإمام واعيًا لحجم التصدعات التي لحقت بالمجتمع الإسلامي، فعمل على لملمة الجراح بروح الأبوَّة الجامعة، ممارسًا دوره بوصفه مرجعًا روحيًّا واجتماعيًّا، يسعى إلى تطهير المجتمع من أمراض الحقد والانتقام والثأر، وتبنَّى خطابًا يلامس الوجدان، ويغذِّي الروح، وينمِّي روح المسؤوليَّة الاجتماعيَّة، ولا سيَّما عبر أدعيته التربويَّة كدعاء مكارم الأخلاق، ودعاء أهل الثغور، ودعاء الجهاد.

ثانيًا: في البعد التربوي: قدَّم الإمام زين العابدين عليه السلام مشروعًا تربويًّا عميقًا عِبر "الصحيفة السجَّاديَّة"، التي لا تقتصر على كونها أدعيةً فحسب، بل هي دروس متكاملة في التربية الذاتيَّة، ومناهج لإصلاح النفس والعقل والوجدان، وركَّز الإمام على إعادة صياغة الإنسان من الداخل، معتبرًا أنَّ التربية هي الطريق الأنجح لمواجهة الفساد والانحراف، وأنَّ اللاعنف التربوي قادر على إحداث تحول جذري في سلوكيَّات الأفراد، كما مثَّلت "رسالة الحقوق" انعكاسًا لهذا الوعي التربوي؛ إذ تُعدُّ ميثاقًا أخلاقيًّا شاملًا يضع قواعد للسلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعيَّة، ويُرسي مبادئ العدالة، والاحترام المتبادل، والانضباط الذاتي.

ثالثًا: في البعد السياسي والمقاوم: على الرغم من أنَّه لم يخض حربًا مسلحة، إلَّا أنَّ الإمام عليه السلام قاد ثورة صامتة، واعية، استهدفت تفكيك أدوات السلطة الأمويَّة من الداخل، عِبر فضح فسادها الأخلاقي، وتعريتها القيميَّة، إنَّ اختياره لمبدأ اللاعنف كان فعلًا مقصودًا يعكس قراءة دقيقة للواقع السياسي آنذاك؛ إذ كان اللجوء للعنف يكرِّس القمع ويعطي مبررًا للمزيد من البطش، وكان اللاعنف في فكره مقاومة صلبة تتسلح بالوعي، وترتكز على توعية الأمَّة بحقوقها وواجباتها، وبمسؤولياتها في وجه الظلم.

المصادر

القرآن الكريم

آل قطيط، هشام. سلو زين العابدين عن حقوق العالمين. بيروت: منشورات الفجر، ٢٠١١.

الإمام زين العابدين عليه السلام. الصحيفة السجَّادية. تحقيق السيد محمَّد باقر الموحد الأبطحي. قم: مؤسَّسة النشر الإسلامي، ٢٠٠٥.

الإمام زين العابدين عليه السلام. رسالة الحقوق. تحقيق الشيخ محمَّد هادي معرفت. النجف: مؤسَّسة آل البيت، ٢٠٠١.

الأزدي، لوط بن يحيى. مقتل الحسين عليه السلام. تحقيق: الحاج ميرزا العقاري. قم المقدسة: المطبعة العلمية، ١٣٩٨.

البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦.

الجوادي، علي. التسامح في الإسلام. دمشق: دار النور، ٢٠٠٨.

الحراني، أبو محمَّد الحسن. تحف العقول عن آل الرسول. تحقيق علي أكبر عقاري. مطبوعات رابطة أهل البيت الإسلاميَّة العالميَّة، د.ت.

الحكيم، محمَّد سعيد. البعد التربوي في مدرسة أهل البيت. النجف: مركز الدراسات الإسلاميَّة، ٢٠٠٧.

الساعدي، حسام. شرح رسالة الحقوق. بيروت: دار المرتضى، ٢٠٠٥.

الطبري، محمَّد بن حرير. نوادر المعجزات. قم: مؤسَّسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤١٣.

القرشي، باقر شريف الحسني. حياة الإمام زين العابدين. بيروت: دار التعارف، ١٩٩٢.

القريشي، باقر شريف. حياة الإمام زين العابدين عليه السلام. دراسة وتحليل، النجف الأشرف. مطبعة الآداب، ١٩٨٨.

الموسوي، شفيق محمَّد. في رحاب أهل البيت. بيروت: دار التوحيد، ٢٠٠١.

حمزة، عبد الفتاح. فقه السلم واللاعنف في الإسلام. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٩.

شحرور، محمَّد. الكتاب والقرآن قراءة معاصرة. دمشق: دار الأهالي، ١٩٩٠.

شرف الدين، عبد الحسين. كلمة حول الإمام زين العابدين. بيروت: مؤسَّسة البلاغ، ٢٠٠٠.

شيري، علي. الكامل في التاريخ. بيروت: دار إحياء التراث العربي.، د.ت.

مطهري، مرتضى. التربية الإسلاميَّة. بيروت: دار التعارف، ٢٠٠٣.

مطهري، مرتضى. العدل الإلهي. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٤.

References

Holy Quran

Al-Qutayti, Hisham. Slu Zayn Aleabidin Ean Huquq Alealamayna. Bayrut: Manshurat Alfajar, 2011.

Al"iimam Zayn Aleabidin (ea). Alsahifat Alsajadia. Tahqiq Alsayid Muhamad Baqir Almuahad Al"abtahi. Qim: Muasasat Alnashr Al"iislamii, 2005.

Al"iimam Zayn Aleabidin (ea). Risalat Alhuquqi. Tahqiq Alshaykh Muhamad Hadi Maerifat. Alnajaf: Muasasat Al Albit, 2001.

Alazdii, Lut Bn Yahyaa. Maqtal Alhusayn (Ealayh Alsalamu). Tahqiqu: Alhaji Mirza Aleaqari. Qim Almuqadasati: Almatbaeat Aleilmiati, 1398.

Albaladhiri, Ahmad Bin Yahyaa. Ansab Alashrafi. Bayrut: Dar Alfikri, 1996.

Aljawadi, Aalay. Altasamuh Fi Alaslami. Dimashqa: Dar Alnuwr, 2008.

Alharaani, Abu Muhamad Alhasani. Tahifu Aleuqul Ean Al Alrasul. Tahqiq Ealiin Akbir Eaqari. Matbueat Rabitat Ahl Albayt Aliaslamiat Alealamiati, da.t.

Alhakimi, Muhamad Saeid. Albued Altarbawiu Fi Madrasat "Ahl Albayt. Alnajif: Markaz Aldirasat Al"iislamiati, 2007.

Alsaaeidi, Husami. Sharh Risalat Alhuquqi. Bayrut: Dar Almurtadaa, 2005.

Altabri, Muhamad Bin Haririn. Nawadir Almuejizati. Qim: Muasasat Ala Mam Almahdi(Ealayh Alsalamu),, 1413.

Alqurashi, Baqir Sharif Alhasni. Hayat Al"iimam Zayn Aleabidin. Birut: Dar Altaearufi, 1992. Alqurayshi, Baqir Sharif. Hayat Alamam Zayan Aleabidin(Ealayh Alsalamu). Dirasat Watahlil , Alnajaf Alashraf. Matbaeat Aladab, 1988.

Almuswi, Shafiq Muhamadu. Fi Rihab Ahil Albayt. Bayrut: Dar Altawhid, 2001.

Hamzat, Eabd Alfataahi. Fiqh Alsilm Wallaaeunf Fi Al"iislami. Alqahirati: Dar Almaearifi, 2009. Shahrur, Muhamadi. Alkitaab Walquran Qira"at Mueasirati. Dimashqa: Dar Al"ahali, 1990.

Sharaf Aldiyn, Eabd Alhusayn. Kalimat Hawl Al"iimam Zayn Aleabidin. Bayrut: Muasasat Albalagh, 2000.

Shiri, Eulay. Alkamil Fi Altaarikhi. Bayrut: Dar Ahya" Alturath Alearabii., da.t.

Mathari, Murtadaa. Aleadl Alalhi. Bayrut: Dar Alfikri, 1984.

Mathari, Murtadaa. Altarbiat Al"iislamiatu. Bayrut: Dar Altaearufi, 2003.